تصحيح "التصحيح"(*)

للأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي

أقـــول : عرض الخطأ أو التجاوز اللغوي بكـــل فروعه للغات عامة ، ومازلنا نرى المعنـــيين بالمسائل اللغوية يبسطون القول في هذا . لقد بدأ اللغويون هذا الدرس في منتصف القرن الثاني للهجرة، وكانت لهم فـــيه وقفات وأقوال. ثم بدا لهم في القرن الثالث أن يتوسعوا،وزاد هذا في القرون التي تعاقبت،فكان لنا مصنفات حبسها أصحابها على الخطأ وإصلاحه أو تصحيحه.

لقد فات أولئك المتقدمين ما أثر عن أبي عمرو بن العلاء فيما حكاه يونس بن حبيب ، قال : "ما انتهى إليكم مما قالت العـــرب إلاّ أقلّـــه ، ولـــو جاءكم وافرًا لجاءكم علم وشعر كثير ".(١)

وجـــاء أيضًـــا مـــن كلامـــه فيما رواه الأصمعي: " سمعت أعرابيًا يقول : فلان لغوب(٢) جاءته كتابي فاحتقرها ، فقلت له : أتقول : جاءته كتابي ؟ فقال : أليس بصحيفة ؟ ".

قال أبو عمرو : فحمله على المعنى ، وقد جاء ذلك كثيرًا في كلامهم(٣) .

قلـــت : لقد هُرع اللغويون في دأبهم في التصـــحيح وتوهّموا أنهم يملكون العربية وفاتهم أنهم لم يدركوا ذلك وقليل ما هم. لقـــد فاتهم أن يدركوا ما بين أيديهم من شعر ونثر وجهلوا الكثير من القرآن ومِن الألفـــاظ الإسلامية . وكان في اختلافهم في هـــذا دلـــيل على أنهم لم يطمئنوا إلى الصواب، غير أنهم توهموا غير هذا فذهبوا في تصحيحهم وإصلاحهم(٤).

وقـــد اهتم اللغويون بالتصحيح متعقبين أقوال النحاة، ومن هذا قول ابن قتيبة:(٥) "وإذا نســـبت إلى اسم مصغَّر كانت فيه الياء أو لم تكن،وكان مشهورا ألقيت الياء

---

* ألقى هذا البحث في الجلسة السادسة يوم الخميس ١٣من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـــ الموافق ١٢ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م.

(١) الأنباري، نزهة الالباء (ط. مدينة الزرقاء، في الأردن)ص٣٣.

(٢) المصدر السابق ص ٣٥ و "لغوب" بمعنى أحمق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) من هذا "تصحيح التصحيح" لابن درستويه (طبع ببغداد)، و"إصلاح المنطق " لابن السكيت .

(٥) أدب الكاتب (ط السلفية) ص ٢٠٩ .

منه،تقول في جَهَينة ومُزينة:جُهَنيّ ومُزَنيّ، وفي قريش:قرشي،وفي هُذَيل: هُذَليّ، وفي سُلَيم: سُلَميّ إلا ما أشذوا، وكذلك إذا نَسَبتَ إلى فَعيل أو فعيلة من أسماء القبائل والبلدان وكان مشهورًا اكتفيت منه الياء مثل:ربيعة وبحيلة وحنيفة تقول:رَبَعي وَبَجَليّ وحَنَفيّ،وفي ثقيف ثقفي، وفي عينيك عتكي،وإن لم يكن مشهورا لم تحذف الياء في الأول ولا الثاني".

أقول : ذكر قول ابن دريد هذا مصطفى جواد - رحمه الله في كتابه " المباحث اللغوية في العراق " فقال : "ولذلك يجب أن نقول : بديهي وغريزي وقبيلي وطبيعي"[1] وأيد قوله هذا بما أثبته في أقوال أهل الأدب واللغة فقال :

قال أبو حيان التوحيدي في بعض أخبار مقاريوس :" ثم أقبل على زيموس وقال له: "ما أبعد شبه معدتك من المعادن الطبيعية".[2]

وقال الجاحظ : "الكرم الغريزيّ" .[3]

أقول : إن هذا درج عليه جمهرة المعربين في النسب إلى ما فيه الياء مما ورد على فعيل وفعيلة وحذفهم للياء دون أن يدركوا ما قيل في ذلك من أقول أهل العلم ، كان بسبب ما أثبته النحاة في إطلاق القاعدة . وهذا يدلّ على أنهم لم يستوفوا الاستقراء .

ومن هذا ذهاب المعاصرين إلى تخطئة النسب إلى الجمع والصواب لديهم أن النسب إلى المفرد ، وهذا مأخوذ من قول النحاة الذي أثبتوه فاعتمده مصنفو الكتب التعليمية في عصرنا .

لقد نبه على هذا مصطفى جواد وأشار إلى كلام الفصحاء فقال :

قال الجاحظ : "لو شئنا أن نقول إن سهر الكلب بالليل ونومه بالنهار خصلة ملوكية لقلنا ، ولو كان خلاف ذلك لكانت الملوك بذلك أولى ".[4]

أقول : وجاء في "فقه اللغة " للثعالبي في تفصيل حركات اليد :

"... فإن مد يده نحو الشيء كما يمد الصبيان أيديهم إذا لعبوا بالجوز فرموا بها

(١) المباحث اللغوية في العراق (ط. بغداد ١٩٦٥م).

(٢) الإمتاع والمؤانسة ٣٨/٢ .

(٣) رسائل الجاحظ ص٦ .

(٤) الحيوان ٢٨٣/١

في الحفرة فهو السَّدْو ، والزَّود لغة صبيانية في السدو ".[1]

أقــول : وقــد درج أهل التصحيح في عصــرنا على هذه القاعدة التي ثقفوها في الكتب التعليمية فقالوا : القانون الدولي ، والبــنك الــدولي ، والعلاقات الدَّولية ، وكان ينبغي أن يقال في كل ذلك الدُّولي والدَّولية والنسب إلى الجمع هو المراد.

وقــد سمعنا قديمًا : الأنصاري والشعوبي والملوكي .

وفــيما نســب إلى مــا يتصل بالحرف والصناعات ، وبيع المواد عرفنا : النُدوري والأمشاطي والمغازلي والمحاملي والجلودي وغيرها .

وكــأن أهــل التصحيح سمعوا مصطلح الأصــولي " و"الأصــولية" في الصحافة المعاصرة فسكنوا .

أقــول : و"الأصــولي" و"الأصولية" في صــحف عصرنا غير "الأصولي " القديم. لقد أراد المعاصرون بــ "الأصولي" الملتزم بالإسلام التزاما شديدا ، وكأنهم أرادوا به المتعصب للإسلام ، ولكنهم هربوا من ذكــر الحقــيقة كما يريدون ذهبوا إلى ضرب من التعمية .[2]

أقول : إن " الإصولي " في كتب الرجال وصف أو نعت للرجل العالم بــ "أصول الفقه" ، فأين هذا مما نحن فيه ؟

ولابــد أن نعود إلى القاعدة النحوية التي تقــيد النسب إلى المفرد ولبس للجمع ، وفي هــذا غلّط الحريري في كتابه " درّة الغــواص ... خواصَّ عصره لاستعمالهم "الصُــحُفِي " نسبة إلى جمع " الصحيفة " لمن يقتبس من الصحف فقال : "ويقولون لمــن يقتــبس من الصحف " صُحُفي " فينســبون إلى الجمع قياسا على قولهم : "أنصــاري وأعــرابي " ، والصواب عند البصــريين "صَــحَفي " نسبة إلى المفرد "صــحيفة" كحنفي نسبة إلى "حنيفة" ، فإنهم لا يرون النسب إلى واحد الجمع إلا أن يجعــل الجمــع علما للمنسوب إليه كمدائن وكلاب فيقال : مدائني وكلابي، أو كان في النسب إلى الواحد القياس

---

(١) فقه اللغة (ط . الليسوعية) ص ١٨٢ .

(٢) أقول : ومن هذا الذي يراد به التعمية ما نجده في صحف عصرنا من قولهم . "تحريك الأسعار" والمراد به "رفع الأسعار". وقولهم "التحمط على فلان" والمراد حبسه وسجنه وغير هذا.

كأعـــرابي ، فإنـــه لو قيل عربي لالتبس بالمنسوب إلى العرب وبينهما فرق مذكور في محلّـــه ، ومن هنا يعلم أن قياسهم عليه غير صحيح ، وأما أنصاري فشاذ لا يقاس عليه أيضًا .

أقول : إن هذا الذي تشبث به البصريون لا يمكـــن أن يكـــون لهم حجة في إثبات الجـــواز إلى المفرد ، والصواب أن المعرب يذهب إلى حاجته التي يتبين فيها الإفهام . وقد يكون لي أن استشهد بما هو " دولي " في لغتـــنا المعاصـــرة ، فإنه يشير إلى ما يكـــون بين الدول وليس فيما يخص دولة واحدة .

وقـــال الشـــهاب الآلوســـي في " شرح الطـــرة": "... ثم إن المانعين استثنوا صورا منها أن يكون الاسم المنسوب إليه علما كأبناء للبلدة المشهورة وهي اليوم بلاقع ، و"فرائض" علم للعلم المشهور ، ومنها أن يغلـــب عـــلى الشيء حتى يلحق بالعلم كأنصـــار لغلبته على أنصار –صلى الله عليه وسلم – في الأوس والخزرج ، وهي إما جمع نصير أو ناصر ".[1]

وجـــاء في " معجـــم الأدباء (ط . دار المأمون) : " وينسب إلى الجمع إذا كان حرفة كالأمشاطي والمحاصلي والجواليقي"، ومـــثله الحصـــري والخرانطي والأنماطي والأكفاني وغير ذلك " [2]

أقـــول : وذهـــب مصـــطفى جواد في تصـــحيحاته إلى أن النســـب إلى الجمع صـــحيح لمـــا فـــيه من فائدة الإفهام ، واستظهر بما وجده لدى أهل العلم فقال : "الـــتذاكري" هـــو بائع التذاكر وكذلك الآثـــار ، وقال: وقد قالوا " الرسائلي " للذي يحمل الرسائل .

قال ابن الفوطي ج ٤ ورقة ١٠ في "مجمع الآداب" في النســـخة الظاهرية في ترجمة المملوك سعادة وهو عز الدين أبو الحسن ســـعادة بن عبد الله الرومي المستظهري الخادم الرسائلي .

وكذلك الساعاتي وهو علي بن رستم بن الساعاتي الشاعر المعروف .

أقـــول : إن أهل التصحيح لم يأخذوا بما هـــو معروف في استعمال الكتاب ، بل تبعوا أقوال النحاة واللغويين الأوائل

(١) شرح الطرة (ط. دمشق ١٣٠١) ص ٣٠٣

(٢) معجم الأدباء ١/٣١-٣٢ .

بصريين وكوفيين . وهذا ما فعله الحريري في "درة الغواص" الذي أثار رد اللغويين الذين لم يتقيدوا بما فرضه أوائل اللغويين والنحويين.

وكان ينبغي لأهل التصحيح أن يفيدوا مما استعمله الجاحظ وأبو حيان التوحيدي وغيرهما .

إننا نجد مثلا القفطي في إخبار الحكماء يقول: :روفس حكيم طبائعي خبير بصناعة الطب في وقته ...". ومن هذا ما قالوا لآسي الجراحات " الجرائحي والجراحي، والأول أشهر .

مما ينبغي لأهل التصحيح

أقول : كان ينبغي لأهل التصحيح أن يبعدوا عنهم ما سُطر في كتب النحو ، وينظروا إلى استعمال النحاة في كتبهم الأخرى غير النحوية . لم ينظروا مثلا في لغة المبرد في " الكامل " و"الفاضل ، ولم ينظروا في الفائق " للزمخشري ، ولم ينظروا في كتب القرآن الأخرى .

أقول : كأن أولئك قد وجدوا أن العربية واسعة ، وكأن الإمام الشافعي قد أدرك

ضيق اللغويين والنحويين في باب التوكيد فقد ورد من كلامه في "المواهب الفتحية": جاء عامة القوم ، وأخذ عامة المال ، وبقي عامة النهار .[1] وقد تجد في "الكشاف" للزمخشري قوله :"كافة الأحوال" أو نحو هذا .

وقالوا مثلا : لا تدخل "قد" على فعل منفي فلا يقال : قد لا يكون هذا ، ولكني وجدت هذا لدى أصحاب المعجمات. وكأني وجدت النحاة واللغويين الذين سطروا في كتبهم ما عرفناه من قواعد النحو والصرف غير مزودين فيما ذهبوا فيه بكثير مما ورد في كلام أهل اللسن والفصاحة . وإذا كان هذا قد حصل فكيف يتصدى مصحح قديم فيصحح معتمدًا على ما قرره النحويون ؟ لقد قال النحاة مثلا بعدم جواز وصف ما يُكسَّر في الجمع بـ"فعلاء" فلا يقال مثلا : "صحائف بيضاء" لأن الصواب "صحائف بيض" ، وكأنهم تبعوا في استقرائهم الناقص ما ورد من قوله تعالى : ومن الجبال جدد بيض

(١) المواهب الفتحية ١/١٧ .

وحُمر مختلف ألوانها وغرابيب سُود "[1]

وفاتهم أن طرفة بن العبد من شعراء الجاهلية قال :

وفيهم رأينا الغيم فيه كأنه
سماحيق تُربٍ وهي حمراء حَرْجَفُ

والمسألة بالخيار ، وفي العربية سعة، وهذا جائز مثل أن يأتي الوصف لما هو مجموع جمعا لقول الأعشى :

الواهب المئة الهجان وعيدها
عُوذًا تُنَجّي خلفها أطفالها

وقد جاءت " المئة الهجان" موصوفة بـ"فعلاء" في قول الحطيئة :

الواهب المئة الهجا
ن معًا لها وَبَرٌ مظاهِرْ
دهماء مدفأة الشتا
ء كأن بركتها حظائر

ومن هذا الذي ذهبوا فيه التخطئة وهو صحيح بدلالة وروده في قول امرئ القيس:

تبيت لبوني بالقُرِّية أُمَّنا
وأسرحُها غبّا بأكناف حائل
تلاعبُ أولادُ الوعول رباعها
دُوَيْنَ السماء في رؤوس المجادل

مكللة حمراء ذات أسرةٍ
لها حبك كأنها من وصائل

وإذا قال باعث بن صريم وهو ممن أثبتهم أبو تمام في "حماسته" :

وكتيبة سُفع الوجوه بواسل
كالأسْدِ حين تذب عن أشبالها
قد قدت أول عنفوان رعيلها
فلفقتها بكتيبة أمثالها

ووصف " الكتيبة " بـ "سُفْع" فقد وصفها حسان بن ثابت بـ "خضراء" في قوله :

لما رأى بَدْرًا تسيل تلاعه
بكتيبةٍ خضراء من بَلخَرزجِ

ولـيس لي إلا أن أجعل قوله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ مفيدا لي في الإشارة إلى سعة العربية وهو " إياكم وخضراء الدمن".

ما ورد مما حمل على اللحن لدى الأوائل وما أدى في عصرنا إلى ضرب من "السرقات العلمية "

أقول : لا أريد باللحن هنا التجاوز على العربية نحوًا وصرفًا، وذلك لأن الكثير من هذا قد عرض للغات عامة ونبهوا عليه.

(١) ٢٧ سورة فاطر .

ولكـــني أريد به البعد في استعمال الكلمة عـــن دلالتها والذهاب بها إلى طرائق لا نعرفها في طرائق المعربين في القرنين الأول والـــثاني ..وقد تكون مبتعدة عن عربية التنـــزيل والمشهور في الحديث الشريف.

ومـــن الطبـــيعي أن تكون عربية الذين أســـلموا في القرون الأولى من غير العرب غـــير مـــا نعرف من عربية إخوانهم من المســـلمين العرب ، وأن تكون الأصوات العربية فيها معدولة عن حقائقها اللغوية .

ولا أعـــرض هنا لما أثبته الجاحظ من قول أحـــد تجـــار الدواب الذي باع المسلمين دوابَّ رديئة فاستنقطه الحجاج عن ذلك فأجابه : "شريكاتنا في هوازها وشريكاتنا في مدانيها وكما تجيء تكون " ، أي أن هذه الدواب قد وصلت على ما هي عليه من رداءة من شركائه في بلادهم الأهواز والمدائن .[1]

ومـــن الطبيعي أن يحمل المسلمون الجدد شـــيئا حمـــل الضيم على عربيتهم . وقد يكون من هؤلاء من كانت أمهاتهم غير عربيات وآباؤهم عرب. وينبغي ألا نغفل أن يكون شيء مما عرض للعربية من ابتعاد عـــن الصـــواب يسبب ما عرفه المجتمع الإســـلامي في القرنين الأول والثاني من العبـــيد الرقيق والجواري غير العربيات .

لقـــد عرفنا من هذا من الصحابة الأولين بـــلال بـــن رباح أول من رفع الأذان في عهد رسول الله وهو عبد حبشي لابد أن يكـــون ذا لكنه حبشية . وإلى هذا يومئ قوله تعالى : "لســـان الذي يُلحدون إليه أعجمـــي"[2] . وذكر الجاحظ أن سحيم عـــبد بـــني الحسحاس كان يرتطن لكنه أجنبـــية وكان يقول : "سعرت" بدلا من "شـــعرت"[3]. وفي الأغاني أنه روي عنه قوله : "أهسنت" بدلا من "أحسنت"[4] وقـــال ابن قتيبة في الشعر والشعراء[5] ، وابن جني في "سر الصناعة " كما أفدت ممـــا في خزانة الأدب[6] : إنه كان يقول: أحســـنك بـــدلا من أحسنت . والكاف ضمير للمفرد المتكلم في الحبشية .

أقول : قد يحمل هذا الاختلاف فيما

(١) الحاحظ : البيان ٦٨/١ ، ابن قتيبة . عيون ١٦٠/٢ . (٢) ١٠٣ سورة النحل

(٣) البيان والتبيين ٣٢/١ . (٤) الأغاني (ط. بولاق ٢/٢٠

(٥) الشعر والشعراء ص ٢٤١ . (٦) خزانة الأدب ٢٥٧/٢ عن كتاب "العربية" ليوهان فك (ترجمة النجار) ص١٣

روي في جملة هذه المصادر إلى بعض النقص في الاستقراء والبحث .

ولعلنا ندرك ما عرض لعربية أهل البصرة من فساد إذا وقفنا على تأثير الفارسية وظهورها في أسماء البلدان والمواضع والأنهار ،[1] ومجيئها مختومة بالألف والنون للنسب كما في مهلبان وأميتنان وعبادان وغيرها .[2]

على أن هذا لم يمنع أن يكون أولئك الداخلون أصحاب فصاحة ، والجاحظ يشير مثلا إلى موسى الأسراري وبصفة فيقول : إنه كان من أعاجيب الدنيا ، وكانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلسه المشهور به ، فيجلس العرب عن يمينه ، والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية، فلا يُدري بأي لسان هو أبين .[3]

ولم تسلم عربية أهل الكوفة مما عرض لها من ضيم ، فقد عرفت هذه المدنية أفواجا من غير العرب اتخذوها موطنا لهم بعد عصر الفتوحات الأولى . إنهم بقية الجيش الفارسي بقيادة رستم في حرب القادسية. لقد أشار الجاحظ إلى هذه العربية الجديدة إلى جملة ألفاظ فارسية استعملها الكوفيون وشاعت بينهم. فقد قال : يقولون : خيار بدلا من قثاء ، وباذروج بلا من الحوك (وهي البقلة الحمقاء أو الرجلة)...[4]

لقد عرفت عربية المصريين هذا الدخيل الفارسي وعم في سائر ما حواليهما من الحواضر والمواضع فإذا عرفنا أن العرب الأوائل قد عرفوا الدخيل أدركنا أن الفرزدق الشاعر قد الشطرنج لعبة فاستعمل "البيدق" في إحدى نقائضه لجرير فقال :

ونحن إذا عدت تميم قديمها
مكان النواصي من وجوه السوابق
منعتك ميراث الملوك وتاجهم
وأنت لدرعي بيذق في البياذق[5]

وقوله هذا يشير إلى اتقانه هذه اللعبة التي من رسومها تقدّم البيذق إلى الرقعة

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ٦٤٥/١ .

(٢) أقول : مازال في البصرة شيء من هذا في "مهيجران" وهي مهاجران ، ويوسفان وغيرهما .

(٣) البيان والتبيين ١٣٩/١ .

(٤) المصدر السابق ١٠/١ .

(٥) ديوان الفرزدق .

الأخـــيرة فيـــتحول إلى وزير . أن هذا "البيذق" لم تسلم منه لغة جرير التي ورد فيها بمعنى ما هو ساقط مرذول فقال:

سبعون والوصفاء مهر بناتنا
إذ مهرجِعْثَنَ مثل حُرّ البيذق[1]

إنه أشار إلى أن مهرجعثن أخت الفرزدق هـــو "مهر المثل" وليس مَهْرًا يشار إليه في عقد النكاح .

و لم تـــنج عربـــية بلاد الشام من الدخيل الرومي ولا عربية مصر مما هو قبطي .

وقـــد كان التجاوز على المشهور السائد مـــن العربية يعرض لأهل العلم فقد عاب الجـــاحظ قراءة الحسن " وما تنـــزلت به الشياطين " وعدَّها خطأً .

ثم انصـــرف اللغويون إلى الإشارة إلى أي تجاوز على العربية كما ورد هذا في "درة الغواص " للحريري . غير أن آخرين من أهـــل العربـــية قد اختلفوا فذهبوا إلى أن الحريـــري قـــد ضيق الأمر وحجَّر واسعًا ووجدوا أن كيْدًا من تخطئته غير صحيح. ومن هؤلاء ابن الخشاب .

ثم مضـــى أهل اللغة في تصحيحاتهم حتى جـــاء المعاصرون فأكثروا في هذا ، وكان مـــنهم من تصدّى لتصحيحات أصحابه فأشار إلى ما زعموه خطأ وهو صحيح. وكـــان هذا المصحح هو مصطفى جواد الذي رد أقوال أسعد خليل داغر وأقوال الكرمـــلي في كتابه "المباحث اللغوية في العراق".

ثم كان لمصطفى جواد جهد كبير آخر في التصـــحيح لما يعرض لأقوال المعربين في الصحف وغيرها . وقد جمعها في كتاب له في جزأين وسمه بـــ "قل ولا تقل" .

لقـــد وقـــف المعنـــيون باللغة وقفة خاصـــة مـــن أقـــوال مصطفى جواد ، وكأنـــه جـــنح عـــلى رأيهم إلى المبالغة في التخطـــئة فكـــان آخـــر مـــن رد عليـــه الأستاذ صبحي البصام في كتاب لـــه وسمه "الاستدراك على كتاب قل ولا تقل ".

أقول : وإذا الأستاذ مصطفى جواد ، وهو مـــن هو في سعة ماله من أخبار بحفظها ويستظهر بها قد عرض له شيء ذهب فيه إلى الصـــواب مشـــيرًا إلى وجه الخطأ في استعمال المعربين ، قد عرض له شيء من التجاوز ، فكيف نقول في الآخرين الذين

(١) ديوان جرير .

مضوا عيالا عليه وعلى من سبقه إلى أيام الحريري ومن تقدمه ؟

هـــذا هـــو الأســـتاذ البصـــام يعـــرض لتصحيحات أستاذه مصطفى جواد ويبين أن ليس فيها مما ظن خطأ . إن هذا يعني إن أصحاب التصحيح قد تعجلوا المسيرة وفـــاتهم عـــلى ســـعة معارف بعضهم كمصطفى جواد الذي ينفرد من بين هذه الطائفـــة ، ومـــع هذا فقد عرض له ما يعرض للمتعجلين ، فكيف بنا مع الذين يقمشون فيسطون على ما كتبه غيرهم .

اقـــول : ولم يـــدرك أهل التصحيح أن الدلالـــة في الكـــلمة قد تتغير فيبدأ فيها بـــالعدول عن أصلها فيكون هذا المعدول استعمالا جديدا لشيوعه . ولا أراني أحمله عـــلى الغلط لورود الكثير في لغة الصفوة وليس في لغة العامة .

ولنضرب مثلا على هذا بالفعل " استُهْتر" الـــذي كان يدل على الولوع بالشيء ، وهذا الولوع قد ذهب به شيئا فشيئا إلى ما هو غير مقبول . لقد قالوا مثلا : هو مُستَهتَر بالشراب أي مولع به لا يبالي ما قـــيل فيه . وفي حديث ابن عمر : "اللهم إني أعـــوذ بك أن أكون من المستَهتَرين " لقد قيل في تأويله : إنه كثير الأباطيل .

وجـــاء في " شرح نهج البلاغة " في صفة الملائكة " ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته " [1] .

وجاء في شعر ابن الدمينة :

أحب هبوط الواديين وإنني
لُمستَهتَّر بالواديين غريبُ [2]

غـــير أنـــنا نجد هذه الكلمة قد جُنح بها الأضـــداد ولا يمكـــن حملها على ألفاظ الأضـــداد لأن ما عُدَّ من الأضداد قد قُيد بهـــذا في كتـــب الأضداد ، وهو قديم في العربـــية . إننا نجد فيما يرويه ابن تغري بـــردي في حوادث سنة ٦٤٢هـــ قوله: وفـــيها قتل القاضي الرفيع عبد العزيز بن عبد الواحد ... قال أبو المظفر في "تاريخه" [أقول : هو مرآة الزمان] : قيل إنه فاسد العقـــيدة دهـــريا مستهترا بأمور الشريعة يخرج سكران ..."[3]

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢/١٤٩ – ١٥٠ .

(٢) ديوان ابن الدمينة شرح محمد الهاشمي البغدادي وقد صُحِّف "لمشتهر".

(٣) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (ط. حيدر آباد) ٨/٧٥١ .

قال مصطفى جواد : فإن كان هذا كلام أبي المظفـــر يوسف بن قزاغلي المعروف بسبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤هـــ فهو غلط محض منذ أواسط القرن السابع الهجري [١]

أقول : وليس لنا أن نعزو هذا إلى الغلط لأننا نجده فاشيًا في نعت الرجال لدى أهل العـــلم مـــن الخاصة وليس في لغة عوام الناس.

لقد ذكر مصطفى جواد ما ورد في معنى "الاســـتهتار " الذي جدَّ في العربية منذ قرون ومنها: "جاء في أخبار شهاب الدين يحيى السهروردي الفيلسوف قتيل حلب: كان الشيخ فخر الدين المارديني يقول: ما أذكـــى هـــذا الشاب وأفصحه ، لم أجد أحدًا مثله في زماني ، إلا أني أخشى عليه لكبْرة تهوره واستهتاره وقلة تحفظه"[٢]

وجاء أيضًا :

وقال كمال الدين محمد بن طلحة الوزير المتولى سنة ٦٥٢هـــ في الحسبة والواجب على المحتسب ؛ "فإن رأى أو علم إنسانًا يعـــتمد في حقوق الله ... أو يتجاهر بمنع الزكاة الواجبة عليه استهتارًا .. إلى غير ذلك مما يطرق إلى الدين خللا ..."[٣]

وجاء في سيرة السلطان خليل بن قلاوون المماليكي سلطان مصر والشام أن الأمير بـــيدرًا الواثب على السلطنة شرع يعدّد ذنـــوب الســـلطان خلـــيل وإهماله أمور المسلمين واستهتاره بالأمراء"[٤]

وجـــاء في أخبار أبي اسحاق إبراهيم بن هـــلال الصـــابي ، قال حفيده هلال بن المحسن ابن الصابي : وعاد أبو اسحاق إلى خدمـــة عز الدولة بختيار بن معز الدولة ، وكتـــب عـــنه في أيام المباينة وبين عضد الدولـــة الكتـــب الـــتي تضمنت الوقيعة والاستهتار عليه"[٥]

وهذا يشير إلى أن "الاستهتار" قد انحرفت دلالته في أواسط القرن الخامس وفيه توفى

---

(١) المباحث اللغوية في العراق (ط. بغداد ١٩٦١).

(٢) عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٢/١٦٧ .

(٣) العقد الفريد للملك السعيد لكمال الدين محمد بن طلحة الوزير ص ١٨٠ .

(٤) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (ط السعادة بمصر) ١/٣٠٢

(٥) معجم الأدباء لياقوت (ط. دار المأمون) ١/٢٣٠ – ٢٣١ .

هلال بن المحسن ابن الصابي [1]

أقــول : وقد جاء كثير من أبناء عصرنا هــذا ممــن ليسوا من أهل العلم فراحوا يــنقلون مــا عده الأوائل غلطا دون أن يعرفوا الاستدراكات الكثيرة فتجدد القول بــالغلط وحدث معه غلط هؤلاء الذين تصدوا لهذه الصنعة وهم ليسوا من أهلها. وهكــذا يظهــر شــيء من "السرقات العلمية".

إبراهيم السامرائي

عضو المجمع من العراق

---

١) أقول · وكأن الذهاب إلى هذا المعنى الجديد في الفعل " استهتر " إلى ما يشبه الضد هو استحداث جديد دلك أن الفعل في استعماله القديم كان مما بنى إلى ما ندعوه في عصرنا المجهول فكانوا يقولون : استهتر بالشيء نظير قولهم سقط في يده، وحُمّ وعُمّ وغيرها، وأما الآخر الذي استحدثوه فهو فعل مبني لمعلوم نظيرٌ استَسْلَم .